المبحث الثالث

أسباب رفض منحولات العهد الجديد

إلى جانب الكتابات الأبوكريفية في اليهودية ظهرت في المسيحية كذلك كتابات منحولة حاربتها الكنيسة البروتستانتية واعتبرتها مجرد هرطقات لا ترقى إلى مستوى "الوحي الإلهي"، وقد كان رفضها هذا مبني على مجموعة من الأسباب والدواعي، نذكر منها:[1]

1-كونها خرافية:" تمتلئ هذه الكتب بالأفكار الخرافية والخيالية فتنسب للمسيح والرسل أعمالا خيالية لا مبرر لها كسجود التنانين والأسود والنمور والثيران والحمير للطفل يسوع! وجعل بطرس سمكة مشوية تعوم !وكلب يعظ بصوت آدمي بليغ !وطفل عمره سبعة شهور يتكلم كرجل !وكطرد يوحنا للبق من أحد البيوت بمعجزة !وسقوط معبد أرطاميس الضخم في أفسس بصلاة يوحنا، وقصة مهر يتكلم وشاب وتنين يرغبان في فتاة فيقتل التنين الشاب ثم يمتص التنين السم، بناء على أمر توما، ويموت ويحيا الشاب !ونرى الطفل يسوع، طفلا مشاكسًا متقلبًا ذا طبيعة تدميرية يؤذي معلميه ويتسبب في موت رفقائه بصورة إعجازية لا مبرر لها، تمزج قدرة الله بنزوات طفل مشاكس !وتنسب هذه الكتب للمسيح ظهورات عديدة بأشكال متنوعة كطفل أو فتى أو رجل عجوز وفى أغلب الأحيان في صورة أحد الرسل !كما تنسب للرسل أعمال خارقة، بدون داع، مثل فتك الصواعق بأعدائهم !ورعب الفجار من قوات الطبيعة المخيفة كالزلازل والرياح والنيران !وغير ذلك من الأفكار الأسطورية الخرافية المتأثرة بالفكر الإغريقي الهيلينستي والتي تشبع فضول البسطاء والعامة الذين اعتادوا سماع مثلها في دياناتهم الوثنية السابقة قبل اعتناقهم المسيحية.

2- كونها تدعو إلى الزهد الجنسي والامتناع عن الزواج: تركز هذه الكتب، خاصة الأعمال الأبوكريفية، على الزهد الجنسي والامتناع عن الزواج وذلك كرد فعل للإباحية الجنسية التي كانت سائدة في الديانات الوثنية، وتصور هذه الكتب كفاح الرسل من أجل طهارة الحياة الزوجية وإقناع الزوجات بالامتناع عن معاشرة أزواجهن جنسيا، وكأن عدم الزواج هو

(1) القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، أبوكريفا العهد الجديد، كيف كتبت؟ ولماذا رفضتها الكنيسة؟، ص: 56 60، وينظر كذلك: القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، مريم المجدلية وعلاقتها بالمسيح، ردا على كتاب شفرة دافنشي، مطبعة المصريين، الطبعة الأولى، 2006، ص: 75-76.

الشرط الأسمى لدخول السماء، جاء في إنجيل المصريين، انه عندما سألت سالومي الرب: إلى متى يسود الموت؟ قال لها الرب: "إلى أن تكفوا أنتن النساء عن ولادة الأطفال لأني جئت لأقضي على وظيفة المرأة"، بل وتركز أعمال توما على العفة ومحاولة إقناع العرسان أن يتعففوا عن العلاقات الزواجية.

3- كونها تحتوي على التعاليم الهرطوقية: تمتلئ هذه الكتب بالأفكار الهرطوقية الأبيونية** والغنوسيةΩ كالقول بأن الروح القدس حل على المسيح في شكل حمامة ودخل فيه.

4- تركز على المسيح ككائن روحاني وتتكلم عنه كلاهوت فقط: وأنه ظهر فجأة على الأرض بدون أي تفصيلات تخص الميلاد أو التجسد...؛ وأنه كان يظهر في أشكال متنوعة وليس في شكل واحد.

** الأبيونية اسم مشتق من كلمة عبرانية معناها "فقير" لذلك سموا بهذا الاسم، لأنهم اعتقدوا في المسيح اعتقادات فقيرة. وقيل أطلق عليهم هذا الاسم تعبيرا عن فقرهم في التفكير،وهناك رأي آخر يرى أن هذا الاسم أطلق عليهم لأنهم فقراء إلى الله .نشأ هذا المذهب قبل زمن عيسى، ولما بعث عليه السلام آمنوا به كنبي ورسول، وليس كإله أو ابن إله .فهم باعتقادهم هذا يؤكدون الطبيعة البشرية للمسيح، ويرفضون بذلك المفهوم الإيماني الكنسي كما أرساه بولس . ويؤمن أصحاب هذا المذهب أيضا بظهور المسيح من جديد، وأنه سيستعيد مجده، مع التزامهم بأحكام الشريعة الموسوية التي تنص على احترام يوم السبت، وتقديسها للختان، وتحريمها أكل اللحوم. (للمزيد من التفصيل ينظر: القس حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي يسوع المسيح عبر الأجيال، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1981، ج1، ص: 405 -406، وكذلك: هيم ماكبي، بولس وتحريف المسيحية، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، بدون طبعة، ج3، ص: 31).

Ω الغنوسية سميت بهذه التسمية نسبة إلى أغناسيوس أسقف أنطاكية، عرفت بمذهب التوليد أو العرفانية، تزامن ظهور هذا المذهب مع أيام الرسل أواسط القرن الأول الميلادي بعد رفع المسيح، ويعتمد هذا المذهب على المعرفة التي تهدف إلى الخلاص من العالم المادي والاتحاد بالله .كما قال أصحاب هذا المذهب بوجود إلهين :إله الشر وهو إله للعهد القديم الذي خل العالم المادي، وإله الخير الذي يمثل إله العهد الجديد الذي خل الموجودات الروحانية. ولتطهير العالم من الشر قام إله الخير بإرسال ابنه المسيح – حسب زعمهم – ليخلص الناس من تعاليم موسى، فقابلوا بذلك التوراة بالإنجيل، ورفضوا حصر الدعوة في بني إسرائيل، فجعلوا دعوة المسيح عالمية. (للمزيد من التفاصيل ينظر: صابر طعيمة، قراءة في الكتاب المقدس، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 2006، ص: 443 وكذلك: أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء، القاهرة، طبعة 1998، ص:395 -396، وكذلك: منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، بدون طبعة، ص: 20).

5- كونها تحتوي على التعاليم السرية: تزعم هذه الكتب أن المسيح أعطى تلاميذه تعاليم سرية خاصة بهم وحدهم يتعلمها ويعرفها فقط الخاصة من الناس*.

6- تنادي بفكر خليط بين المسيحية والديانات والفلسفات الوثنية: كالقول بوجود إله سامي غير مدرك ولا معروف، "فالأسطورة الغنوسية تقول أنه يوجد مصدر إلهي كامل، مطلق، كلي القدرة، أو "مبدأ أول" لكل وجود، وكل وجود تالي له، هذا الكائن لا يوصف ويسمو على كل وصف ويفوق كل وصف ولا ينطق به. ويتشابه هذا الفكر، الغنوسي، مع المصدر الإلهي في الأسطورة الأفلاطونية، أسطورة الإله الموجود فلسفيا والتي كانت موجودة في القرن الثاني الميلادي وما قبله. ولأسباب غير مدركة أو مفهومة، تقول الأسطورة الغنوسية، أنه انبثق من هذا الإله غير المدرك، أو بثق هذا الإله الكلي القدرة من ذاته أقنوما أو كائنا ثانيا، ثم انبثق منه في حقبات تالية سلسلة أخرى من الكائنات تسمى أيونات والتي تعني مجالات روحية، كليات، دهور، أو عوالم روحية. هذه الأيونات يقولون أنها أماكن وأزمنة ممتدة وتجريدات بأسماء مثل "فكر سابق، عدم فساد، حياة أبدية...، وكان آخر هذه الأيونات أو الكائنات هي الحكمة"[1].

---

* هذا الأمر يخالف تماما ما جاء في إنجيل يوحنا القانوني؛ " فَسَأَلَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسُوعَ عَنْ تَلاَمِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ. أَجَابَهُ يَسُوعُ:« أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ عَلاَنِيَةً. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِمًا. وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ. لِمَاذَا تَسْأَلُنِي أَنَا؟ اِسْأَلِ الَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا مَاذَا كَلَّمْتُهُمْ. هُوَذَا هؤُلاَءِ يَعْرِفُونَ مَاذَا قُلْتُ أَنَا" يوحنا: 18/19-21.

(1) عبد المسيح بسيط أبو الخير، مريم المجدلية وعلاقتها بالمسيح، ردا على كتاب شفرة دافنشي، ص: 92.